145728 ـ تفسير قوله تعالى : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)

السؤال

ما معنى الآية التي ذكرت أن الإنسان لن يسأل عن الذنب يوم القيامة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

لعل مقصود السائل بالآية قول الله عز وجل : (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) الرحمن/39.

وهي من الآيات العظيمة الجليلة الواردة في سورة الرحمن ، في سياق الحديث عن أهوال يوم القيامة العظيمة ، وبيان أن من هول ذلك اليوم العظيم أنه لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان .

وقد فسر العلماء ذلك بتفاسير عدة :

الأول : أن الإنس والجان لا يُسأَلون يوم القيامة سؤال استفهام واستعلام عن ذنوبهم ، فالله عز وجل أعلم بها ، ولكنه سبحانه يسألهم سؤال تقرير أو توبيخ أو تقريع ، وهذا فيه مزيد تخويف وتهويل لما يحدث يوم القيامة .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جآن) لماذا ؟ لأن كل شيء معلوم ، والمراد لا يسأل سؤال استرشاد واستعلام ، لأن كل شيء معلوم ، أما سؤال تبكيت فيسأل ، مثل قوله تعالى : (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأَنباء يومئذ فهم لا يتساءلون) وقال عز وجل : (إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) وقال عز وجل لأهل النار وهم يلقون فيها : (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى) وأمثالها كثير .

إذن لا يسأل عن ذنبه سؤال استرشاد واستعلام ، وإنما يسألون سؤال تبكيت وتوبيخ ، وما جاء من سؤال الإنس والجن عن ذنوبهم : هل أنت عملت أو لم تعمل ؟ فهو سؤال تبكيت وتوبيخ ، وهناك فرق بين سؤال الاسترشاد وسؤال التوبيخ فلا تتناقض الآيات ، فما جاء أنهم يسألون فهو سؤال توبيخ ، وما جاء أنهم لا يسألون فهو سؤال استرشاد واستعلام ؛ لأن الكل معلوم ومكتوب " انتهى.

" تفسير القرآن " (من الحجرات إلى الحديد) (ص/317)

والثاني : أن من الأحداث الهائلة التي تكون في ذلك اليوم أن الله عز وجل يختم على قلوب الكافرين والمنافقين ، وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون ، فلا يسألون في ذلك الموقف ، وإنما تسأل أبدانهم لتشهد عليهم بذنوبهم .

والثالث : أن الكفار لهول ما يلاقون يوم القيامة يعرفون باسوداد وجوههم ، وزرقة أعينهم ، فلا حاجة لسؤالهم عن ذنوبهم وقد بدت عليهم علامات الخزي فيهم ، وفي هذا أيضا هول شديد وموقف عصيب يوم القيامة ، ولا ينفي ذلك وقوع السؤال الحقيقي في موقف آخر ، فالقيامة يوم طويل ، ومراحل ومواقف مختلفة .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" وقوله : (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ)، وهذه كقوله : (هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ . وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) المرسلات/35-36، فهذا في حال ، وثَمّ حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم ، قال الله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) الحجر/92-93. ولهذا قال قتادة : (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ) ، قال : قد كانت مسألة ، ثم ختم على أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لا يسألهم : هل عملتم كذا وكذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟ فهو قول ثان .

وقال مجاهد في هذه الآية : لا يسأل الملائكة عن المجرم ، يُعْرَفُون بسيماهم .

وهذا قول ثالث .

وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار ، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم ، بل يقادون إليها ويلقون فيها ، كما قال تعالى : (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي : بعلامات تظهر عليهم .

وقال الحسن وقتادة : يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون . قلت : وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء " انتهى.

" تفسير القرآن العظيم " (7/499)

ويقول العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله :

" قوله تعالى : (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) الآية . هذه الآية الكريمة تدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة ، ونظيرها قوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ, عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقوله: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ)، وقوله : (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله : (فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ

وَلا جَانٌّ)، وكقوله : (وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

الأول : وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه وهو أن السؤال قسمان : سؤال توبيخ وتقريع ، وأداته غالبا (لِمَ)، وسؤال استخبار واستعلام ، وأداته غالبا (هل) ، فالمثبَت هو سؤال التوبيخ والتقريع ، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام .

وجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص في القرآن كله توبيخ وتقريع ، كقوله : (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ . مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ) ، وكقوله : (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ) ، وكقوله : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) ، وكقوله : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)، إلى غير ذلك من الآيات ، وسؤال الله للرسل : ماذا أجبتم ؛ لتوبيخ الذين كذبوهم ، كسؤال الموؤودة : بأي ذنب قتلت ؛ لتوبيخ قاتلها .

الوجه الثاني : أن في القيامة مواقف متعددة ، ففي بعضها يسألون ، وفي بعضها لا يسألون " انتهى.

" دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب " (ص/15)

والله أعلم .